حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صورة الرَبّ في الفكر الديني اليهودي
دراسة في الموروثات الحضارية واثرها في نصوص المقرا

د. حازم عدنان أحمد*

جامعة بغداد / كلية العلوم الاسلامية/ قسم الاديان المقارن

المستخلص

تتمركز دراستنا في هذا البحث على محورين رئيسين، الأول: بيان صور الالهة في الحضارات القديمة التي أعدّتها نصوص العهد القديم بالموروثات، التي لها أثرها ـ عند التحقيق ـ في الفكر الديني اليهودي، ذاك أن عيش الشعب الإسرائيلي كان تحت ظل تلك الحضارات، كالمصرية والبابلية.. وغيرها من الحضارات، وقد تبلور في الفكر اليهودي صور الالهة ـ جراء ذاك الاحتكاك ـ، فأقحمت فكرهم الديني ومعتقدهم بالرب، وجسدوا الرب في صور مجسمات تتشابه في المسميات والاشكال مع تلك الصور التي قدمتها أهل الحضارات في معابدهم.

واما الثاني: فهو بيان صور الرب في أسفار العهد القديم، وأثرها في الذهنية اليهودية، وقد وصفت الأسفار الرب بتوصيفات عدة، وقد حقق البحث نماذج منها: كالغضوب والنار الآكلة..

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

أما بعد:

فإن المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة متكونة من نتاج العقل الإنساني المجرد، وفكره المترامي والمتأمل في قوى الطبيعة المهيمنة على حياته، إذ بدأ ظهور فكرة عبادة تلك القوى محاولة منه من أجل إرضائها وخشية البطش به وبقومه، غير ان هناك فكرة أخرى متمثلة في عبادة بعض الحيوانات التي لها علاقة في ديمومة عيشهم، طمعاً بالخير الذي سيدّر عليهم. وعلى الجملة فإن الطابع الذي يروي انفسهم ويغديه هو التقديس، فصوروها بأشكال ورموز ومجسمات وتماثيل لها أماكن مقدسة كالهياكل والمعابد، كي تطمئن ضمائرهم إليها، وترتاح الأنفس بالنظر إليها وهي شاخصة أمام أعينهم، ولعل أهم مظهر تعبدي هو تقديم القرابين والنذور لها، والطواف حولها والتمسح بها معتقدين بعقيدة رضى الاله.

ومع ترادف الانبياء والرسل(عليهم السلام)، بلطف من الله تعالى على الأقوام والشعوب، بدأت تلك المعتقدات تزول عند بعضهم بعدما وصل العقل إلى فهم دقيق لحقيقة القوى المهيمنة على الانسان والكون. فانتقل الحال من العقلية البدائية حيال التدين إلى الثوابت الإيمانية التي هتف بها الانبياء والرسل(عليهم السلام). وعلى العموم فإن وصفنا لا يعني دخول كل الامم في تلك الثوابت الإيمانية، بل هناك كثير من الأمم وملوكها عاندوا، وبقوا على حال معتقدهم البدائي وبقت عقولهم وقلوبهم خاضعة لتلك المعتقدات.

وأما الذين دخلوا في دين الأنبياء والرسل، فمنهم من انحرف عن ذلك المنهل الصافي، فانحرفوا عن التوحيد، وركنوا إلى وثنية شعوب الحضارات.

وقد خصصنا في دراستنا من بين أولئك: اليهود ـ عبر مراحلهم التاريخية ـ الذين عاشوا في أجواء النبوة والتوحيد والرسالة الالهية، ثم انحرفوا عنها، وقد سجل كتابهم المقدس(العهد القديم)، بأسفاره تلك الانحرافات.

وقد جاءت هذه الدراسة لتجلي مسألتين رئيستين:

فأما الأولى: فهي في بيان صورة الالهة في الحضارات القديمة، وربط تلك الصور في معبودات اليهود عبر تاريخ آبائهم، محققين الدراسة من منظور العهد القديم واخباراته عن عيشهم تحت ظل تلك الحضارات، فهم رأوا بأم أعينهم صور الهة أهل الحضارات، وبكل مسمياتها وكان لها أثرها في الذهنية اليهودية.

وأما الثانية: فهي بيان صور الرب في أسفار العهد القديم، التي تجمل صفات الرب ، كـ (الغضوب، والدموي، والنار الآكلة..)، على نحو ما سنرى في ثنايا البحث.

ثم إن دراستنا لوحت بأحوال كُتّاب الأسفار الذين سطروا أسفارهم فإن هناك نوازع نفسية تحيط بهم وهم يصفون وقائعَ واحداثاً مرت في الشعب الإسرائيلي، تلك التي نزفت بها أقلامهم عبر التأريخ اليهودي العام.

وأما الخطة البحثية ، فقد قسمت دراستي على مبحثين تتفرع عنهما مطالب عدة، فأما المبحث الأول فكان في توصيف صورة الاله في الحضارات القديمة: (الكنعانية، العراقية، المصرية، الإيرانية)، وقد عمدت في دراستي إلى بيان أثر تلك الموروثات ـ ضمن منهج التحليلات ـ في الفكر الديني اليهودي. وأما المبحث الثاني فكان في بيان صورة الرب في نصوص العهد القديم، وأثر تلك الصور في الفكر الديني اليهودي، ولعل أهم أثر

أشره الباحث هو أن صور الرب كانت مرآة انعكست على السلوك اليهودي، فتولدت فكرة الامتياز البشري وربطها بإفراد رب خاص بهم عن الارباب، فكان يهوه هو المعين لهم من بين تلك الالهة، من أجل هذا استخفوا الشعوب، وتفاخروا بيهوه، وتحدثوا باسمه بل نسبوا كل افاعليهم إلى تعاليم يهوه، وقدموا صوراً بشعة من تقتيل وتحريق، ويكفينا في هذا المقام شواهد سفر يشوع، الذي أجلى الأمر كله.

ثم جاءت الخاتمة وفيها نتائج الدراسة وثمارها البحثية، وأخيراً أرفدنا البحث بثَّبت بالمصادر والمراجع التي استعملها الباحث في دراسته.

والله أسال أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وان ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزدنا علما، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

المبحث الاول
التعبيرات الحضارية لصورة الالهة وموروثها الديني لدى الجماعات الاسرائيلية مفتتح

سجل لنا تاريخ الاديان الظواهر الدينية ومراحل تطورها لدى الشعوب القديمة، وتزداد أهميته في تحري الحقيقة ، وتقديم وصف منضبط لتلك الظواهر الدينية.

ولعل صور الالهة وصفاتها من أهم المسائل التي انشغل بها الفكر البشري منذ أقدم الأزمان، فقد حاول الفكر الإنساني تقديم تفسير للقوى أو الذوات الغيبية المهيمنة على هذا الكون الذي حوى أسراراً صعب على العقل وصفها وإدراك ماهيتها، ولأن:" العقل مقيد بعالم الحس لا عمل له في الحكم على عالم الغيب الميتافيزيك"[١].

ففي الحضارات القديمة نجد محاولات جادة لتصوير الاله أو تلك القوى الغيبية، فكل حضارة اتخذت صوراً واشكالاً ورموزاً، ومجسمات للآلهة، وقد وضعتها في أماكن خاصة مقدسة كي تعبد وتقدم لها القرابين والنذور، وهذه الصور قد تتمثل بصور حيوانات خرافية أو تصوير للقوى الموجودة في الطبيعة المهيمنة على العقل الإنساني، ثم جعلها تحت منطوق التقديس.

والفكر اليهودي ورث من تلك الحضارات صوراً واشكالاً للإله " فهناك عناصر مصرية من حضارة المصريين القدماء في قصص العهد القديم ونظام الكهنوت اليهودي، كما يوجد تشابه واضح بين المزامير وأناشيد اخناتون الدينية، والامر نفسه ينطبق على الكنعانيين والبابليين والهليين.."[٢] . كما سنرى في المطالب الآتية:

المطلب الأول: صورة الالهة في الديانة الكنعانيةوأثرها في الفكر الديني اليهودي.

احتفظت الديانة الكنعانية بطابعها البدوي العربي، وبالرغم من تأثرها بالثقافة المصرية والبابلية واليونانية.. فكان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقاماً الإله (إيل)، الذي لقب بالإله العلي أو الإله العظيم وهو نفسه اسم الإله (إيل)، الوارد في التوراة[٣] .غير إن هناك الهة عدة لها مسمياتها عند الكنعانيين، الذي يهمنا منها هي التي اعتمدتها النصوص المقدسة ولها أثرها في الفكر الديني اليهودي.

أولاً: الإله (إيل) وأثره في الفكر الديني اليهودي:

يعدُّ (إيل) اباً للآلهة والبشر وملكاً عليهم جميعاً[٤] ، ويدل اسمه على مفهوم الالوهية بشكل عام، وبشكل خاص في اللغات السامية، وكلمة إيل هي أقرب كلمة لمعنى الـ (اله)، أو (الله)، ويوصف هذا الإله بأنه إله السماء وأبو الالهة والبشر[٥] .

اما عن أصل التسمية فيعتقد أن يكون لها جذر، فيقول الماجدي:" ربما كانت (إيلو) مشتقة من جذر بعيد هو (أول)، التي تعني أشياء كثيرة منها: (الرئاسة، والسيادة، والسلطة)، أي الأول في كل شيء والذي يتميز عما يليه في الرفعة، والسمو، وقد طرأت على هذا الجذر تغيرات شملت بشكل خاص حروف العلة، وأصبح (إيلو، إيل، إل.. الخ"[٦].

وينقل د. أحمد سوسة تأكيد الاستاذ الجميلي في كتابه تاريخ العرب في الجاهلية ان:" إيل كلمة عربية الأصل، وقد كانت منذ القديم في مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الإله، وهي تعني الرب أو الاله، وقد وردت في المعينية، والسبئية، والبابلية، والآرامية، والكنعانية.. فتطورت عنها كلمة الاله أو الله في العربية الفصحى"[٧].

وقد عُبد الإله (إيل)، بشكل اسم مركب مع آلهة أخرى مثل:

أ. إيل عليون: إيل العالي.. ملك السماوات والارض.

ب. إيل ركاب: راكب الغيوم.

ت. إيل شراي: إيل القدير.

ث. إيليا ـ إيل يهوه أو إيل هو يهوه كان يردد اليهود[٨]

ولعل إيل يهوه في التصنيفات المذكورة ما نجد أثره في النصوص التوراتية، ومنها:

١. في قصة الملاك مع هاجر، فقد جاء في سفر التكوين: " فدعت اسم الرب الذي تكلم معها انت إيل ربي.."[٩]. وإطلاقها هذا الاسم الجديد عليه، إنما من دهشتها إذ حسبت أنها كانت موضوع عناية الله المنعمة، ان ظهور الله والرؤيا اقتاداها إلى تسمية الله[١٠]

٢. وفي قصة رحيل يعقوب وبنائه للمذبح، فقد دعا الله بـ (إيل)، فقد جاء في سفر التكوين: " وأقام هناك مذبحاً ودعاه (إيل إله إسرائيل).."[١١] . وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس معنى (إيل)، فهي: " إله إسرائيل وقد أطلق يعقوب هذا الاسم على مذبح بناه بالقرب من شكيم.. ولأن الله قد أعلن نفسه له ـ أي ليعقوب ـ [١٢].

ثانياً: صورة عشيرة (الأم الكبرى) وبعل واثرهما في الفكر الديني اليهودي:

تعني كلمة بعل المالك، والسيد، والزوج، وقد كان بعل إله الخصوبة، وإله الطقس والامطار والعواصف، ولقبه (بعل عليان)، اي بعل السامي العظيم[١٣].

اما وجود بعل في اعتقاد الكنعانيين، فكانت الالهة عشيرة هي أهم الالهة، والأم الكبرى التي يعني اسمها (ربة اليم اثيرة)، أي المشي على المياه من أهم صفاتها[١٤].

ومن أولادها الإله (بعل)، الذي يمثل الدورة الانباتية التي تجد ما يقابلها في التقاليد الدينية والعربية الأخرى، ففي ملحمة شعرية عثر عليها في أوغاريت عرض خلاب لموت بعل ثم عودته إلى الحياة ليمثل الدورة الموسمية بموت النباتات في الصيف ثم عودته في الربيع بعد سقوط الأمطار..[١٥].

وقد كُرس له هيكل عظيم، وكان له هيكل في أشدود وفلسطين، وهو من خلال الاسطورة شاب شجاع وسيم مقدام يحب النظام، ويكره الفوضى يعمل للحياة، ويكره الموت يحمل بيده عصا ترمز للخضرة وبيده الثانية الصاعقة التي ترمز إلى البرق، والرعد...[١٦].

عبادة بعل وأثره في الفكر الديني اليهودي:

تقدم القول في معنى (أشيره)، أم الالهة، وقد نجد أن هذا له أثره في الفكر الديني اليهودي عندما نقرأ نصوص اليهود المقدسة، إذ نجد كلمة السارية التي معناها عمود الخشب لها قدسية خاصة، وان كلمة السارية التي ترد في نصوص اليهود مأخوذة من اسم أشيرة أو اسيره، أي التي تسري في الليل فهي من السراة[١٧]. ولتحقيق ذلك نذكر بعض النصوص ضمن المحاور الآتية:

١. بيان النص المقدس لصورة بعل.

جاء في سفر الخروج: " بل تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون سواريهم"[١٨] . وهو توجيه رباني لموسى (عليه السلام)، ليحفظ وصية الله التي هي :" احفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طارد من قدامك الاموريين والكنعانيين.. فانك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور.. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض.."[١٩] .

وبالرغم من التوجيه الالهي إلا إننا نجد في موضع آخر من الكتاب المقدس تحذيراً للإسرائيليين الذين وضعوا السارية في مذبح الرب، وقد جاء في سفر التثنية: " لا تنصب لنفسك سارية من شجرة بجانب الرب الهك الذي تصنعه لك، ولا تقم له نصباً الشيء الذي يبغضه الرب الهك"[٢٠] .

٢. وضع تمثال السارية في بيت الرب.

وبعدما جاء النهي عن نصب السارية بجانب بيت الرب، إلا إننا نجد ان نص سفر الملوك الثاني يفصح عن صور السارية داخل بيت الرب على أثر قصة حزقيا:" وعاد وبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل أخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح في بيت الرب.. ووضع تمثال السارية التي عمل في البيت "[٢١].

ويعلق ماك في تفسيره على النص: " قلبَ منسَّى اصلاحات حزقيا رأس على عقب إذ عاد وجعل عبادة البعل ديانة يهوذا الرسمية تماماً كما كان آخاب قد فعل في إسرائيل"[٢٢].

٣. أنبياء السواري كأنبياء البعل.

يخبر سفر الملوك الأول عن أنبياء السواري الذين لهم الشبه بأنبياء البعل، ولنقرأ: " فالان ارسل واجمع إلي كلِّ إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين، وأنبياء السواري اربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل"[٢٣] .

يفهم من هذا أن للسارية أنبياء وهم أعداد كبيرة وهم كأنبياء بعل .

٤. فعل الفواحش في طقوس عبادة السارية.

وقد اشار الدكتور القس دياب في كتابه العهد القديم وعالمه إلى وجود فاحشة البغاء ووجوب فعلها من قبل الذكور والإناث في طقوس عبادة السارية، وكان مستقى كلامه من نصوص الكتاب المقدس التي هي في الأسفار: (تث: ٢٣: ١٧)[٢٤]، و (١مل: ١٤: ٢٣، ٢٤)[٢٥]، و (٢مل ٢٣: ٧)[٢٦].. [٢٧]

ثالثاً: صورة الالهة عشتارت في الفكر الديني اليهودي:

قبل الخوض في بيان معنى (عشتارت)، يجب أن نميز بين (عشيرة وعشتارة)، إذ الأولى (عشيرة)، هي الاسم المرادف لـ (عشيرة)، التي هي أم الالهة ـ التي مرت معنا قبل قليل ـ وعشتارة هي إلهة الحب والجمال وهل الالهة اللعوب التي تشكل امتداداً لصفات الإلهة الرافدينية (عشتار)، وهذا ما أكده الاستاذ الماجدي في كتابه معتقدات الكنعانيين[٢٨] .

وعشتارت عند الكنعانيين هي أعظم الالهات وأسماهن منزلة وتتصف أنها إلهة بلا زوج وهي مؤنث عشتر.. وتوصف بأنها شابة ممتلئة الجسم ذات صدر نافر، وقوام جميل سامية الروح، مرهفة الطبع، قوية العاطفة.. [٢٩].

وقد عبد الكنعانيون العشتاروث وبنو لها هيكلاً في بيت شان، واكتشفت تماثيل لها تعود إلى العصر البرونزي المتأخر (١٢٠٠ ق. م)[٣٠] .

ويذكرها العهد القديم (عشتاروث)، ويبين لنا تبياناً جلياً على أثر تلك الالهة وصورتها في الفكر الإسرائيلي وعباداتهم لها، ونجد هذا في قراءة سفر صموئيل: " وكلم صموئيل كل بيت الرب قائلاً: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الالهة الغربية والعشتاروث من وسطكم واعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من الفلسطينيين فنزعوا بنو إسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب وحده"[٣١] .

فالفقرة التي فيها " واعدوا قلوبكم للرب واعبدوا.." في السفر نفسه هي وصف صريح على ارتداد بني اسرائيل عن الرب الواحد الاحد، واتخاذهم الهة الوثنيين ، لذا وجدنا النص يحثهم على ترك هذا الارتداد والعودة إلى الرب، والتوبة إليه، ويدعم هذا تصريح بني إسرائيل بصراخهم إلى الرب، فقد جاء في السفر نفسه: " فصرخوا إلى الرب وقالوا اخطأنا لأننا تركنا الرب وعبدنا البعليم، والعشتاروث فالآن انقذنا من ايدي اعدائنا فنعبدك"[٣٢] .

مما تقدم خلصنا إلى بيان أثر الموروثات في الفكر الديني اليهودي، غير انهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من تلك الموروثات، يقول د. احمد شلبي: " لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء.. وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم ـ عليه السلام ـ إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم.. "[٣٣]

المطلب الثاني: صورة الهة ديانات بلاد الرافدين وأثرها في الفكر الديني اليهودي.

تعدُّ حضارة بلاد الرافدين من أقدم الحضارات القديمة وقد امتازت هذه الحضارة بسمات حضرية مختلفة ، كالزراعة واساليبها، والصناعة وحرفها الانتاجية من حياكة وغيرها، ولا يمكن اخفاء ابتداع الكتابة عن تلك الحضارة التي تعد الأولى بين الحضارات القديمة، ثم فن البناء المتمثل بالزقورة والمعابد وغيرها من الابنية، كل هذا يعدُّ من أهم المظاهر الحضارية.

فالنصوص المسمارية افصحت تماماً عن معتقدات العراقيين القدماء وطقوسهم وشعائرهم، بطريقة لهجة التراتيل والملاحم. غير إن هذه المعتقدات لا ترتقي كغيرها من الحضارات إلى فهم طبيعة خالق الكون وصفاته العلية، فيبقى الفهم بدائياً بالرغم من وجود فلسفة تفسّر القوى المهيمنة على الكون.

ولعل ابرز صفة فلسفية في ديانة بلاد الرافدين هي ما تُعرف بين المختصين بـ (مبدأ الحيوية)، أي الاعتقاد بوجود قوى أو ارواح كامنة في مظاهر الطبيعة، وتجسيدها بهيئة الهة نتج عنه وجود الهة كثيرة حتى انها بلغت الكثرة بحيث العراقيين القدماء نظموا فيها قوائم مطولة[٣٤] .

وقد عبد العراقيون الإله بصورة ثالوث، مع ذلك ان فكرة التثليث كانت عراقية وقديمة وقد عرفها كل من البابليين والآشوريين في الالف الرابع قبل الميلاد وجعلوها كل مجموعة بثلاثة:

- الأولى : على رأس الكهنة: إله السماء وإله الأرض، وإله البحر.
- الثانية: إله الصخر، وإله العدالة والتشريع، وإله الشمس.
- الثالثة: عشتار إله الحب والخصب، وشمس إله المعرفة والعدل، ويعفسن إله القمر[٣٥].

فأما السومريون فاطلقوا على إله السماء (آن)، على انه مصدر الالوهية، فانه الوحيد، و(انليل)، السيد الريح، وهو الآخر من أهم الالهة، و (انكي)، الذي يعني سيد الأرض في المرتبة الثالثة[٣٦].

هذا عرض لأهم الهة العراقيين القدماء. مع الملاحظ انه لا تختلف عقائد الأكديين عن عقائد السومريين، فقد عبد الاكديون الهة متعددة منها الهة السماء، ومنها الهة الارض، والهة البحار.. اما الاشوريين فانهم غيروا بمعتقداتهم لتكون أكثر ملائمة مع الشؤون الحربية أو الطابع العسكري، وكان الإله آشور هو الاله القوي المدافع، وإن زوجته عشتار آلهة محاربة تحتل المرتبة الثانية بين الالهة الاشورية..[٣٧]

صورة الهة العراقيين ومتوازياتها في الفكر الديني اليهودي:

١. صورة الانسان وصورة الاله:

سجلت النصوص التوراتية بعض التشابه في منظورها إلى صورة الاله وصورة الانسان ، ففي سفر التكوين: " فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً أو انثى خلقهم وباركهم الله"[٣٨] .

وبالنظر إلى المدونات السومرية والبابلية فقد عزا السومريون والبابليون صورة الهتهم إلى صفات البشر جميعها لها عواطفها وميولها مثل البشر وهي تعيش وتأكل وتتزاوج وتسكن في بيوت هي المعابد المشيدة لها[٣٩].

غير إننا نجد فلسفة في هذا التشابه، وبحسب تصوير المدونات السومرية والبابلية، فإن الالهة تمتاز عن البشر بصفات أبرزها أنها تتصف بصفة الخلود فهي بخلاف الإنسان لا تموت، وإن مات بعضها مثل الاله الذي يمثل فصل الربيع فإنما يكون ذلك لأمد محدود.. ومساكن الالهة الأصلية في السماء وبإمكانها أن تنزل إلى الأرض وفي يدها مصير البشر، وكانت العناية من خلق الانسان ليعبدها ويمدها بما تحتاجه من المؤن لعيشها. لذلك فإن عدم تحقيق هذه الغاية أو التقصير فيها يعرض الإنسان إلى بطشها ونقمتها وغضبها في هذه الحياة بشتى ضروب العقاب، ومثل هذا ورد في التوراة: " فالإله الربّ خلق الإنسان على صورته ذكراً أو انثى"..[٤٠]

٢. إله الآباء:

دعا الاشوريون الههم (إله الآباء)، وهذه التسمية استعملها آباء إسرائيل لتصف علاقتهم بإلههم[٤١].

هذا وقد جاء في سفر التكوين:" فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك:"[٤٢]، و" لكن إله أبي كان معي"[٤٣]، وفي سفر الخروج: " هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم.."[٤٤].

٣. إله تموز:

جاء في سفر حزقيال: " فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز. فقال لي: أرايت هذا يا ابن آدم؟ بعد تعودُ تنظر رجاسات أعظم من هذه "[٤٥].

لقد ارتبط اسرائيل برجاسة أعظم الطقوس السرية، وذلك بالعبادة البابلية لتموز أو دوموزي حبيب عشتار، وهو إله الاخضرار الذي يأتي في الربيع، فالاخضرار الذي يحترق في الصيف ويموت في الشتاء، يعود في الربيع ليحيا من جديد فكانت النساء تَئُحْن على مصرع الإله في شهر تموز، وتَئُقن إلى انبعاثه من جديد، ومازال الشهر الرابع في الروزنامة العبرية يحمل اسم تموز، وقد ارتبطت بعبادة هذا الوثن أحقر أنواع الفجور[٤٦] .

٤. إله الشمس:

كان إله الشمس من الإلهة البارزة في بلاد وادي الرافدين، وقد عبد تحت مسميات أخرى، وكان رمزه قرصاً تنبعث منه حزم الضوء، وقد صور على مسلة حمورابي وهو جالس على العرش.. ومعروف إن الشمس تعلو في السماء وتزيل بنورها الظلمات ولذلك قال عنه الاقدمون بأنه الإله الذي لا يخفى عليه السر[٤٧].

وقد عبدت الشمس من كهنة بني إسرائيل كما جاء في سفر حزقيال: " فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية، وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوهم نحو الشرق.."[٤٨]. ويعلق ماك على النص بالقول: " إن المكان الأكثر قداسة في الهيكل حيث الكهنة وحدهم يستطيعون الدخول كان يشهد ذروة الإهانة لله فخمسة وعشرون رجلاً كانوا يعبدون الشمس، وهذا العدد يمثل مراتب الكهنة الاربعة والعشرين إضافة إلى رئيس الكهنة"[٤٩].

مما تقدم فإننا حققنا جوانب من وثنية بني إسرائيل واتخاذهم من ديانة الحضارة العراقية القديمة عبادات وطقوساً وشعائر، وعلى الجملة فهي رجاسات عظّمت ذنوبهم لأنهم تركوا التوحيد ومنهج الانبياء الصافي.

وقد وصف سفر حزقيال هذه الرجاسات: " وبعد تنظر رجاسات أعظم ثم جاء بي إلى باب الدار فنظرت وإذا ثقب في الحائط ثم قال لي يا ابن آدم انقب في الحائط فنقبت في الحائط فاذا باب وقال لي ادخل وانظر الرجاسات الشريرة التي هي هم عاملوها فدخلت ونظرت وإذا كل اشكال دبابات وحيوانات نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائره وواقف قدامه سبعون رجلاً من شيوخ بيت إسرائيل.. وكل واحد مجمرته في يده وعطر عنان البخور صاعد. ثم قال لي: أرايت يا ابن آدم ما تفعله شيوخ بيت إسرائيل في الظلام كل واحد في مخادع تصويره ؟ لأنهم يقولون لايرانا الرب قد ترك الأرض"[٥٠].

المطلب الثالث: صورة الهة وادي بلاد وادي النيل في الفكر الديني اليهودي.

لم يفترق الفكر الديني في حضارة وادي النيل عن سابقتها الحضارة العراقية، إلا ان الالهة المصرية تميزت بألقابها واعيادها، وكذلك المدن والأقاليم التي ارتبطت بها عباداتها في الأصل، وفي حالات كثيرة استمر ذلك الارتباط طوال فترات التاريخ الكلي للبلاد[٥١].

لكن لما ابتدأ فرعون واخذ يجمع في شخصه السلطات السياسية والدينية في عدد كبير من المقاطعات بقوة الفتح.. بدأت الحاجة لجمع الهة المقاطعات المفتوحة تحت سلطان الإله الذي يحمي فرعون، وظلت الوحدات الدينية قائمة على نطاق أوسع[٥٢].

ومن جانب آخر فإن المصريين اعتقدوا ان الهتهم الوطنية تساعد الفرعون في إحراز النصر في غزوه للأراضي الاجنبية وتأكيد سطوته وسلطة مصر السياسية إلا ان ذلك لم يكن هدفه نشر العقائد الدينية المصرية أو تأكيدها في هذه البلاد[٥٣].

وتشير الوثائق التي تُعرف بـ (وثائق الاهرام)، و(كتاب الأموات)، تذكر أسماء آلهة تزيد عن الفٍ وأربعمائة اسم. عندما اندمجت مصر العليا والسفلى في دولة واحدة أصبح (حورس) إلها للبلاد الموحد، وكانت له هيئة رجل برأس صقر، أما الاله (توت)، وكان رأسه رأس طائر مائي يسمى أبو منجل، فكان كاتب الآلهة وهو الذي علم الإنسان الكتابة، وكان (توت) و(أنوبيس)، جسده جسد إنسان ورأسه رأس ثعلب)، هما اللذان يدخلان الأموات إلى قاعة القضاء. كان للاله (أمون)، إله مدينة ثيبة، شكل خروف، و(حاثور)، إلهة الحب والخصب، فكانت بشكل بقرة، رمز الخصب والخير، كان الاله (رع)، يمثل الشمس وكان رمزه مسلة عالية تشير إلى الشمس.. والقرص الشمسي (اتون)، كان في عهد الفرعون (أمنحوتب الرابع، اخناتون (١٣٧٠-١٣٥٣ ق.م) الاله الوحيد الذي يجب عبادته في مصر، إذ منع هذا الفرعون عبادة أية آلهة أخرى..[٥٤]

وقد عاش بنو إسرائيل ردحاً من الزمان تحت ظل تلك الحضارة وفي كنفها، وقد كان نتيجة هذا الاحتكاك تبني بعض الهة المصريين وعباداتها، وسنأخذ عبادتهم للعجل ليدلنا على العقلية اليهودية التي لم تستطع التخلص من الوثنية وعباداتهم البتة.

صورة الاله العجل لدى المصريين وأثره في الفكر الديني اليهودي:

من الملاحظ ظهور حيوانات غريبة في حضارة بلاد النيل، أُلهت وعبدت، وقد تكون الهة تجسد قوى الطبيعة أو تصوير لبعض الحيوانات على سبيل الخرافات والاساطير، ونجد هذا جليا في تصويرها اشكال حيوانات وانسان وخليط بينهما ومن هذا:

أبيس: عُبد على هيئة العجل في مدينة منف المصرية، منذ عصر الأسرات المبكر، هو رب الخصوبة للأرض، ويعد أبيس من أعظم الالهة تكريماً وأقدمها عبادة، وقد اعدّوه تجسيداً للإله بتاح، وأحياناً يمثل بجسم إنسان ورأس عجل يرمز إلى القوة الجسدية والتفوق والنسل[٥٥].

وعند النظر والتأمل في النصوص التوراتية نجدها صريحة، ففي الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج تحدثنا فقراته عن عبادة بني إسرائيل للعجل. فتبدأ القصة بتذمر بني إسرائيل بعد غياب موسى (عليه السلام)، عنهم: " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا فهذا الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعرف ماذا أصابه فقال لهم هارون إنزعوا حَلَقَ الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وجيئوني بها فنزع جميع الشعب حَلَقَ الذهب التي في آذان نِسائِهم وجاؤوا بها إلى هارون فأخذها من أيديهم وأذبها وسكبها في صنم على صورة عجل فقال الشعب هذه الهتكم يا بني إسرائيل آلهتكم التي اخرجتكم من أرض مصر فلما رأى هارون ذلك بنى أمام الصنم مذبحاً نادى وقال غداً عيد الرب "[٥٦].

هذا منظورهم تجاه هارون (عليه السلام)، ولا نعلم كيف وصف كاتب السفر هارون بهذا الوصف الهابط؟ ثم أين استقى معلوماته هذه؟ . ولو سلمنا جدلاً أن الانبياء لا تحفهم العصمة، فهم كالبشر يخطئون كما هو معتقدهم، ولكن كيف يخطئون في جنب الله تعالى وقوام رسالتهم التوحيد، فكيف يجعلون مع الله وثناً أو صنماً؟.

ثم أين نضع هذا الفعل المشين بالنبوة من الوصايا التي هتفت بعدم الشرك؟ : " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[٥٧].

فإذا كانت الوصية هي لعموم الشعب، فكيف يستثنى خواص الشعب الذين هم الانبياء (عليهم السلام)، وهل يعقل لكل ذي لب أن الانبياء يشركون ويفعلون افاعيل الشرك من تصوير الالهة وتجسيمها بحيوانات لها رمزية القوة والإخصاب، وحث الشعب على عباداتها، فأي افتراء أعظم على الانبياء؟ وأي سفر مقدس يحمل مثل هذه الفريات العظيمة؟.

ثم سؤالنا موجه إلى كاتب السفر لماذا رميت هارون بتلك الفريات؟. ولماذا لم يكن هناك شخص آخر بعيد عن النبوة والرسالة؟. وإن النقل التاريخي خاصة في المسائل العقدية لابد لها من ضابط يضبط تلك الإخبارات. إلا انه لا يوجد أي ضابط عند التحقيق.

ولننظر نظرة هادئة إلى الإخبار القرآني الصريح فنجد أن الله تعالى في سورة الأعراف وصف نفوسهم التي اشربت بالعجل وعبادته: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٥٨].

ويذكر سيد طنطاوي في تفسيره : " بعد ما جاوزوا ـ بنو إسرائيل ـ البحر وقعت أبصارهم على قوم يعبدون أصناماً من دون الله تعالى، فماذا كان من بني إسرائيل؟ كان منهم أن عاودتهم تلك الطبيعة الوثنية المتأصلة، فطلبوا من نبيهم أن يصنع لهم آلهة من جنس الآلهة التي يعبدها أولئك القوم" [٥٩].

ثم بعد غياب موسى وذهابه للقاء ربه (جل وعلا): ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[٦٠]. عبدوا العجل. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ مِّنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾[٦١].

وكان هذا نتيجة مشاهدة بني إسرائيل أحوال بعض المشركين عقب عبورهم البحر ونجاتهم من عدوهم، وذلك لأن المتوقع منهم أن يحتقروا ما شاهدوه، وأن ينفروا مما أبصروه للأسباب الآتية: لأن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون سوء العذاب في ظل عبادة الأصنام عند فرعون وقومه. ولأن نجاتهم مما كانوا فيه من ذل وهوان، قد تمت على يد نبيهم الذي دعاهم إلى التوحيد. فطبيعة بني إسرائيل المعوجة لم تفارقهم أبداً، فسرعان ما وقعت أبصارهم على قوم يداومون على عبادة أصنام لهم، حتى انجذبوا إليها، وطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم وثناً كغيرهم لكي يعبدوه من جديد [٦٢].

ثم بعد عودة موسى وجد القوم على امر بغيض :﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [٦٣].

و اما حقيقة العجل وما آل القوم إليه، فقد أخبر الله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [٦٤] . فالذي صنع العجل وامر بعبادته هو السامري. فالنص القرآني صريح ببراءة ساحة نبي الله هارون (عليه السلام) من صناعة العجل الذي نسبته له التوراة بهتاناً وظلماً، كما ورد في سفر الخروج ، إذ نسب تعالى هذا الفعل إلى شخص يدعى بـ(السامري)، والسامري: هو اسم لشخص كان سبباً في ظلال بني إسرائيل، وقيل كان من زعماء بني إسرائيل وينسب إلى قبيلة تعرف بالسامرة، وقيل فيه: إنه كان من قوم يعبدون البقر، وقيل غير ذلك من أقوال مظنونة غير محققة، والمعنى في ذلك: قال تعالى لموسى (عليه السلام): إنا قد أضللنا قومك من بعد مفارقتك لهم، وكان السبب في ضلالهم السامري، إذ دعاهم إلى عبادة العجل فانقادوا له وأطاعوه[٦٥].

وبهذا يكون القرآن الكريم حقق البراءة التامة لهارون (عليه السلام)، وحقق عباداتهم للعجل، وكشف فعلهم المشين، ولا يمكن وصف انبياء الله تعالى ورسله بهذه الاوصاف الشركية، وانهم عباد مصطفون اخيار، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [٦٦] . هذا قول الله الفصل في أنبيائه.

ثم بعد هذا التحقيق نقف قليلاً على تعليق صاحب تفسير الكتاب المقدس، فيذكر: " اصنع لنا آلهة بهذا الحجم كان تأثير العالم المتعدد الآلهة في بني إسرائيل حتى إنهم في لحظة هلع أو ضجر، استسلموا لمشهد وثني عالمي. ولكن ما زاد في خطورة الوضع هو تلك السّعة في انقضاض العبادة الوثنية عليهم بالرغم من البراهين الواقعية الحاضرة والتي دلت على عظمة الله وصلاحه نحوهم.. على أنهم لم يسالوا الآلهة فقط، بل طلبوا منها كذلك أن تقودهم:(آلهة تسير أمامنا) فنظرتهم إلى العالم الوثني سلبتهم رؤية الله الذي أخرجهم من مصر"[٦٧] .

هذا توصيف دقيق لبني إسرائيل، فإن الوثنية أشربت في قلوبهم ، وكان الاجدر بهم بعد مشاهدة نعم الله عليهم أن يسيروا في طريقه ويخلصوا في عبادته، والتخلص من براثن الوثنية التي كانوا يعيشون في ظلها، إلا انهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا منها بسبب جبلتهم، واخلاقهم المنحرفة.. وإن المتطلع لأحوال هؤلاء الشعب ليقف في غاية العجب، كيف بقوم وهم يرون نعم الله تنهال عليهم، منها : انفلاق البحر، ونجاتهم واغراق عدوهم لأمر عظيم من الله العظيم، ومع هذا طلبوا الشرك وركنوا الى عبادته .

ثم أن النص التوراتي: (ثم قاموا للعب)، في مقال، فيذهب صاحب التفسير للكتاب المقدس: " إن الكلمة العبرية المستعملة هنا تتضمن معنى أعمال السُكر والفجور والتي كانت مألوفة لدى الاديان الوثنية ولا سيما في بدع الاخصاب المعربدة فمبدأ التوافق هذا سلب من الشعب كل وعي أخلاقي أو تمييز أدبي"(٦٨).

المطلب الرابع: ثنوية الآلهة.

قد تكون الثنوية ديانات الشعوب البدائية، الذين اعتمدوا في مقالاتهم على قوتين عظيمتين هما أساس الكون. وهؤلاء هم المجوس .

ويذكر الشهرستاني: " اختصت المجوس بالتثنية، واثبتوا أصلين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية:(يزدان، وأهرمن)، ولهم في ذلك تفصيل مذهب. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: أحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة. والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا (الامتزاج)، مبدأ، و(الخلاص)، معادا. الا ان المجوس الأصلية زعموا ان الأصلين لا يجوز ان يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها، امن النور حدثت؟ والنور لا يحدث شرا جزئياً، فكيف يحدث أصل الشر؟ أم من شيء آخر، ولا شيء يشرك النور في الإحداث والقدم؟ (٦٩).

وقد احتك اليهود بالفرس في المدة الممتدة من أواخر السبي البابلي أي أواخر القرن السادس قبل الميلاد. ادى هذا الاحتكاك إلى الاعتقاد بفكرة اثنية الاله، كما ينقل المسيري في موسوعته لليهود: "تؤمن اليهودية بالفكرة القائلة بأن الوجود يتكون من قوتين أو عنصرين أساسين أو جوهرين متوازيين متعارضين لا يلتقيان، وتعني هذه الفكرة القول بوجود إلهين: إله الخير وإله الشر يتم القضاء على الثنوية إذ يهزم إله الخير إله الشر ويمتزجان ليكونا واحدية كونية (٧٠).

اما بعد السبي البابلي فيرى القس دياب أن بني إسرائيل تخلصوا من تعدد الآلهة نهائياً في مدة السبي وما بعدها ولاذوا بالوحدانية فصاروا يعبدون إلها مجردا (إله السموات) ويسند قوله إلى سفري عزرا ونحميا..(٧١)

وقد تكون هذه المدة هي عود إلى الله تعالى كما اخبر سفرا عزرا ونحميا، وانهم يتعبدون ويتوبون(٧٢).

وقبل مغادرة المبحث فإننا نستطيع القول أن البحث أجلى مسألة متأصلة في حياة الشعب الإسرائيلي ودارت معهم في الازمنة التي عاشوها، والامكنة التي قطنوها عبر حِلهم وارتحالهم، الا وهي تبني معتقدات الشعوب والانغماس بها لحد العبادة والتقديس والتبجيل، وقد تعرضنا في دراستنا لجوانب رئيسة من تلك المعتقدات، فقد اختار الإسرائيليون عبادة الآلهة الغريبة والممارسات الطقسية المقيتة التي تدل على مدى تمردهم على الدين الحق الذي أتى به انبياء الله تعالى (عليهم السلام)، والملاحظ عند تحقيق الجوانب التاريخية من حياتهم وفي كتبهم المقدسة، أن الله تعالى أتى بوعده بأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب، فأتى بالبابليين والآشوريين، فأجلوهم عن بلادهم وباتوا نهباً للعباد. وقد اخبر الحق تعالى عن هذا الامر بكتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (٧٣) .

المبحث الثاني
صورة الربّ في الفكر الديني اليهودي وأثرها في الفكر اليهودي

مدخل:

علمنا مما تقدم أن الإسرائيليين وصلوا في مطافهم الأخير ـ بعد السبي البابلي ـ إلى إله مجرد (الهة السموات)، وبهذا وصلوا إلى مرامي التوحيد، غير ان الوحدانية لم تستقر على اله البشر أجمعين، بل خطوا لأنفسهم الهاً يعلو على الهة غيرهم من الشعوب، وفي هذا المقام يقول العقاد: " إن الوحدانية التي كان يدركها الاسرائيليون في ذلك الزمان لم تكن وحدانية تفكير، ولكنها وحدانية لتغليب لرب الارباب على الأرباب، ولم يخط اليهود خطوة واحدة غير هذه الخطوة، وهي أن لليهود إلهاً يعلو على آلهة غيرهم من البشر"(٧٤) .

ولعل هذه الفكرة التي جالت في نفوس الشعب الاسرائيلي لها اصول منظورة من فكرة أو عقيدة صفوة البشر.

وسنحاول في هذا المبحث بيان صورة الربّ في الفكر الديني اليهودي، على وفق معطيات العهد القديم، وفي المطالب الآتية:

المطلب الاول: صورة الربّ في تاريخ الآباء بحسب منظور العهد القديم.

يستقى من العهد القديم معلومات غزيرة تسعف الدراسة، وتقودنا إلى فهم دقيق لصورة الله في الفكر اليهودي وتطورها، والعهد القديم كما هو معلوم عند التحقيق يقسم على ثلاثة أقسام: (التوراة، والانبياء، والكتب التي تشتمل على الأسفار الشعرية والدروج الخمسة، والأسفار التاريخية)(٧٥).

أولاً: نظرة مجملة في العهد القديم.

وبحسب ترتيب الكتاب المقدس وطبعة الشرق في بيروت، نجد اشتمال اصحاحات الاسفار على اعداد متفاوتة، وقد يعود الأمر إلى الموضوعات التي اندرجت تحت كل سفر من الأسفار، إذ تتفاوت بعضها عن بعضها الآخر كون توصيف محتويات موضوعاتها لا تتساوى في حشد الأحداث والوقائع التي سطرتها تلك الاسفار، هذا من جانب نظر الباحث.

ولكن نجد موريس بوكاي يحيل الأمر إلى العوامل النفسية لمحرري تلك الأسفار، فيذكر انها : " أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب وطوراً وغيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة"(٧٦).

إن ماذهب إليه بوكاي هو تحليل علمي لكتاب الأسفار، وقد يسعفنا هذا عندما ننظر إلى طبيعة تلك الموروثات التي جمعت مدى آثارها في تكوين الشخصية الفكرية والدينية التي هي مدار دراستنا.

ويعتقد اليهود اعتقاداً راسخاً بأن موسى (عليه السلام)، هو كاتب الأسفار الخمسة، ودليلهم على هذا ما جاء في سفر التثنية : " وكتب موسى هذه التوراة" (٧٧) . من أجل هذا تسمى أسفار موسى الخمسة، غير إن هذا الاعتقاد بدأ يأخذ منحى آخر على حد تعبير حبيب سعيد فيذكر: إن خلال المائة سنة الأخيرة توسع العلماء في البحث والاستقصاء واثبتوا خطأ هذه النظرية ـ التي هي موسى كاتب الاسفار الخمسة ـ الا انهم يعتقدون أن بعض أجزائها يرجع تاريخها إلى أزمنة موحى هذه الاسفار، الا انهم يعتقدون أن بعض أجزائها يرجع تاريخها إلى أزمنة مختلفة وعصور متأخرة، والدليل على انها كتبت في ذلك الوصف الزمني المختلف هو وجود بيانين مختلفين عن حادثة واحدة.. أو نجد بيانين ممتزجين معاً، أو آيتين تتداخل احداهما في الأخرى، ومهما تكن أحوال الكتّاب والمحررين وموضوعية الحوادث وبيانها، فإننا نجد الاستاذ حبيب يوعز الأمر إلى القرار التصديقي، فانه يذكر أن مهما يكن

من أمر فإن هذه الحقيقة التاريخية لا علاقة لها بصدق الوحي، وأولئك الكتّاب الذين نجهل اسماءهم قد تلقوا وحياً من الله تحت ارشاد الروح القدس وسلطانه، دروا أو لم يدروا[٧٨].

ثانياً: الميثاق الالهي واثره في تكوين صورة الربّ لدى اليهود.

حفلت الاسفار بأقوال موروثة ومختلفة جمعت بشكل ما، وان " ماتميز هذه الأقوال الموروثة من روايات نادرة يشهد اهميتها التشريعية: ومن ذلك يوم الراحة يوم السبت عند نهاية الخلق، والارتباط بنوح وإبراهيم (عليهما السلام)، والطهور، وشراء مغارة مكبلاً التي اعطت للآباء الاولين سنداً ملكيّا بأرض كنعان"[٧٩]، وكثير من الأقوال التي حفلت بها تلك الأسفار اعطت سيلاً وافراً في رفد الفكر الديني اليهودي، فسفر التكوين يشمل في فحواه على قسمين أساسيين: (التاريخ البدائي، وتاريخ الآباء)، فالتاريخ البدائي يسجل اربعة أحداث رئيسة:(الخلق، السقوط، الطوفان، التشتت)، وأما تاريخ الآباء فيلقي الضوء على أربعة رجال عظام: (إبراهيم، اسحق، يعقوب، يوسف)[٨٠].

وتحقيقنا العلمي يدور حول وعود الله تعالى لإبراهيم بامتلاك الأرض، ولعلنا هنا نسجل بواكير تبلور الفكر اليهودي في تصوير الله، فمسألة انتساب اليهود إلى ابراهيم (عليه السلام)، والميثاق الالهي لإبراهيم ونسله في امتلاك الأرض، منطوقها في سفر التكوين : " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.."[٨١]. إنها لمسألة مهمة في تكوين الفكر اليهودي، وتحديد هويته، ولعل هذا الانتساب له اثاره في فرز فكرة صفوة البشر، وتغليب رب الارباب، اعطى دفعاً قوياً للفكر اليهودي، وانبثاق مفهوم التمايز على الشعوب، وسمو نسلهم على سائر الشعوب.

ولعلنا نجد هذا في قراءتنا لقصة إبراهيم (عليه السلام)، في سفر التكوين، اطلاقات تمثل صورة الله بتفكيرهم، على حد تعبير الاستاذ حبيب سعيد:

(الله، الوهيم): اسم نكرة للدلالة على أي اله، وهو يطلق على آلهة الوثنيين، (الرب، يهوه): وهو اسم علم للدلالة على الاله الحق، ويستعمل خاصة عند التحدث عن ذات الله وصفاته، وعلاقته مع شعبه، وقوته الفدائية التي انقذتهم من عبودية مصر، وهذا الاله يظهر لإبراهيم باسم شدَّاي أي القدير الكامل، وذلك عند تكرار الوعد بإعطائه نسلاً.[٨٢]

ثم لننظر إلى النص التوراتي الذي يقرر فيربط (الرب يهوه) في عقيدة الميثاق: " ظهر الرب لأبرام وقال له: انا الله القدير سر امامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك.. اما أنا فهوذا عهدي معك وتكون ابا لجمهور من الامم فلا يدعى اسمك ابرام بل يكون اسمك ابراهيم لأني اجعلك أبا لجمهور من الامم وأثمرك كثيرا جدا واجعلك أمما وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا ابديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان مُلكاً ابديا وأكون الههم" [٨٣] .

ومثلما ظهر الله لإبراهيم ليصف نفسه ويعطيه الميثاق، كذلك يظهر ليعقوب ليؤكد ان الذي وعد قادر على أن يكمل وعده ..[٨٤] .

فتكرار فكرة الميثاق التي كتبها محرر السفر تدل على العوامل النفسية التي ذكرها بوكاي في تحليله لشخصية كُتّاب الأسفار، والا ماذا يفهم من ولوج الامر إلى يعقوب ونسله، بعدما كان لإبراهيم ونسله، ذاك يدل ــ من جهة نظر الباحث ــ على تخصيص الامر لبني اسرائيل الذي هو يعقوب (عليه السلام)، ونبذ أي فكرة فيها إعمام ذرية ابراهيم (عليه السلام)، الاخرى المتمثلة بإسماعيل (عليه السلام).

ولنقرأ النص: " وظهر الله ليعقوب ايضا حين جاء من فدان أرام وباركه، وقال له الله: اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، وقال له الله: أنا الله القدير أثمر واكثر أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك والأرض التي أعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطي الأرض ثم صعد الله عنه"(٨٥).

المطلب الثاني: المظاهر العنيفة لصورة الربّ كما تصورها نصوص العهد القديم .

ينحو التوصيف النصي للعهد القديم منحى منحرفاً ليرسم صورة الله في مظاهره العنيفة. وقد تكون لهذه الصور اثارها البالغة في حياتهم وتاريخهم، وفي كينونة فكرهم الديني، ومن تلك المظاهر العنيفة لصورة الله :

أولاً: صورة الرب الغضوب كما تصورها نصوص العهد القديم.

١. الرب غضوب بسبب عبادة الشعب للعجل.

فقد جاء في سفر الخروج: " وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأُصيرك شعباً عظيماً فتضرع موسى امام الرب الهه وقال: لماذا يارب يحمَى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر .. "(٨٦).

والنص التوراتي جلي دال على غضب الله على الشعب، بالنظر إلى ما تقدم على هذه الفقرات ففي الفقرة اولاً وما تليها من الفقرات في الاصحاح نفسه، التي تخبر عن عبادة العجل من قبل الشعب. فصورة الغضب هنا متحققة في تهديد الرب بافناء الشعب، والفناء كذلك متحقق على كل من عبد العجل، ومحاورة موسى للرب ما هي الا تعبير من كاتب السفر نفسه وبما تدور في خلجاته من امور نفسية.

ثم اننا نؤمن بأن الانبياء(عليهم السلام)، هم اتقى الناس إلى الله تعالى، واعلمهم بالله تعالى، ولا يمكن أن يقفوا موقف الاعتراض على غضب الله تعالى كما يصوره كاتب السفر.

٢. الرب غضوب جراء تذمرهم وتمردهم:

واما الذي جاء في سفر العدد ففيه دلالة واضحة على ان الله الغضوب ينزل غضبه وعقابه على الشعب جراء تمردهم: " وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أذني الرب وسمع الرب فحَميَ غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب واحرقت في طرف المحلة .."(٨٧)

ثم لننظر ما تصفه النصوص التوراتية ليرفع الغضب عنهم : " فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب فخمدت النار"(٨٨).

٣. الرب غضوب بسبب تذمرهم على طعام الرب:

انزل الله تعالى عليهم المن والسلوى، إكراماً لهم وابدلهم بالذي هو خير عما كانوا يأكلونه في مصر، الا انهم تذمروا واشتكوا، وطلبوا الطعام الذي الفوه في مصر :" فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم والآن يبست انفسنا ليس شيء غير أن اعيننا إلى هذا المن.. فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم كل واحد في باب خيمته وحمي غضب الرب جداً ساء ذلك في عيني موسى .."(٨٩) .

ووصف هذا المشهد لم ينتهِ بعد فمازال الاصحاح يروي اختيار السبعين من شيوخ القوم واجتماعهم في خيمة الاجتماع ليتكلم الله معهم ليتحملوا مع موسى اوزار الشعب وطلباتهم، خاصة في طلب الشعب وشهوتهم إلى اللحم(٩٠).

ثم يصف الاصحاح بعد تلبية الله طلب الشعب من اللحم، إذ قذف عليهم لحم طير السلوى، فاكلوا منه حتى خرج من مناخرهم ـ بحسب وصف الاصحاح ـ وقبل أن ينقطع الاكل " حمي غضبُ الرب على الشعب، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً فدعي اسم ذلك الموضع (قبروت هتأوة)، لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا.."[٩١].

٤. سفر المزامير وصور الرب الغضوب المنوعة في تاريخ بني إسرائيل:

يقدم سفر المزامير صوراً منوعة للرب الغضوب، وسفر المزامير الذي دعاه الحاخامات بـ (كتاب التسابيح)، هو عندهم موحى من عند الله تعالى، لدى بني إسرائيل. ولنقف على بعض فقرات تلك المزامير، ونحلل دلالة عباراتها مستعينين بأحد التفاسير للكتاب المقدس:

أ- الصورة الاولى : إله غضوب عنصري:

جاء في المزمور" اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك نجسوا هيكل قدسك جعلوا أورشليم أكواماً دفعوا جُثث عبيدك طعاماً لطيور السماء لحم أتقيائك لوحوش الأرض سفكوا دمهم كالماء حول أورشليم وليس من يدفن صِرنا عاراً عند جيراننا هزءاً وسُخرة للذين حولنا إلى متى يارب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك؟"[٩٢] .

ثم لنردف تفسير جون ماك على هذا النص، فيقول: ربما كان الاساس التاريخي لهذا المزمور تدمير نبوخذنصر للهيكل في (٥٨٦ ق.م)، ويحوي المزمور صلاة لأجل احتياجات الأمة على الصعيد الروحي، ولعنات أعداء شعب الله، وتسبيحات في سياق توقع أفعال الله. ويساعد المزمور المؤمن في التعبير عن كربه في أثناء كارثة ما يبدو إبانها كما لو أن الله كان بعيداً يأبى التدخل"[٩٣].

إن ما أهم يلحظه الباحث في النص أعلاه وتفسيره، مدى الوحشية التي قام بها اعداء الشعب، الذين لم ينتموا إلى الإنسانية بهذه الافعال ، ولكن إذا اردنا مقارنة هذه الافعال الوحشية نجدها متحققة عند الشعب عندما دخلوا مدينة اريحا الفلسطينية عنوة بقيادة يشوع بن نون، الذي وصفته نصوصهم المقدسة بأبشع جزار، فحرقوا المدينة وقتلوا الشيوخ والاطفال، وغيرها من الأفاعيل المشينة بحق الإنسانية، ولنقرأ قليلاً هذا في سفر يشوع: " فاقتحم الشعب المدينة لا يلوي أحدهم على شيء واستولوا عليها وقتلوا بحد السيف إكراماً للرب جميع ما في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير.."[٩٤] . فأي رب هذا يرضى إكرام الشعب له، بسفك الدماء واهلاك الحرث والنسل؟ .

أليس حري بأن يوصف بالإله الدموي. والمسألة المتحققة في هذا المقام هو الأثر الفكري في الشخصية اليهودية. الذي هو شعب له امتياز عند الرب، إله غضوب لابد أن يغضب هذه المرة لهم لا عليهم، فانهم في الوقت الذي لم يرضوا فيه افاعيل نبوخذنصر، رضوا بتاريخهم الوحشي عندما دخلوا اريحا عنوة. ولم يعتذروا عن تاريخهم الدموي بل تبجحوا واعطوه المباركة الالهية.

ثم إن قولهم : (إلى متى يارب تغضب كل الغضب وتتقد كالنار غيرتك؟). قد يكون دعاء للمؤمن كما ذهب ماك في تفسيره، للتعبير عن كرب المؤمن. فأي ايمان يتكلم عنه ماك لدى مؤمني الشعب، وقد قدمنا في دراستنا انحراف الشعب عن الايمان بالرب الواحد، واتخاذهم الهة الوثنيين معبودات لهم. وإذا أراد المفسر بتوبة الشعب من بعد ذنوبهم، ورضى الله عنهم، فانه يكون غضوباً بحق على من ينكر توبته ويهدمها ، وقد لحظنا مما تقدم إن الله

يغضب غضباً شديداً، وينزل عقابه فيضربهم ضرباً، ويقبرهم في أرض اصبحت عليهم وسمة، وهذا باعتراف نصوصهم المقدسة.

فلماذا هذا الامتياز الالهي لهذا الشعب وقد قدم من المعاصي والذنوب ما فاق عبادة الوثنيين، وباعترافهم وفي المزمور نفسه الفقرة ثامناً: " لا تذكر علينا ذنوب الأولين"(٩٥).

ولنحقق هذه الذنوب في الصورة الثانية من سفر المزامير.

ب- الصورة الثانية : إله غضوب في مراحل تاريخ حياتهم.

يخبرنا المزمور الثامن والسبعون عن غضب الله تعالى على الشعب جراء افاعيلهم عبر مراحلهم التاريخية، ولنقرأها في النصوص الآتية، وقد قام الباحث بعنونتها على حسب موضوعاتها.

١. نقض العهود:

" بنو افرايم النازعون في القوس الرامون انقلبوا في يوم الحرب. لم يحفظوا عهد الله وأبوا السلوك في شريعته ونسوا أفعاله وعجائبه التي أراهم قدام ابائهم صنع أعجوبة في أرض مصر بلاد صوغن شق البحر فعبَّرهم ونصب المياه كندٍّ وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور النار.. ثم عادوا أيضاً ليُخطئوا إليه لعصيان العلي في الأرض الناشفة"(٩٦).

٢. تجريب الرب في البرية:

"وجربوا في قلوبهم بسؤالهم طعاماً لشهوتهم فوقعوا في الله قالوا: هل يقدر الله أن يُرتب مائدة في البرية؟ هوذا ضَرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الاودية هل يقدر أيضاً أن يعطي خبزا أو يهيئ لحماً لشعبه؟ لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نارٌ في يعقوب وسخط أيضاً صعد على إسرائيل لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه.. فصعد عليهم "(٩٧).

٣. رب رؤوف وغضوب:

" اما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يهلك وكثيراً ما رُد غضبه، ولم يُشعل كل سخطه ذكر انهم بشر ريح تذهب ولا تعود كم عصوه في البرية وأحزنوه في القفر رجعوا وجربوا الله وعنوا قدوس إسرائيل لم يذكروا يده يوم فداهم من العدو حيث جعل في مصر آياته وعجائبه .. فجربوا وعصوا الله العلي وشهادته لم يحفظوا بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم انحرفوا كقوس مخطئة أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم سمع الله فغضب ورذل إسرائيل.. "(٩٨).

تلك اذن نماذج من تاريخهم مع الرب وعصيانهم له، فهي تروي خيانتهم وارتدادهم بالرغم من نعم الرب عليهم إذ اخرجهم من مصر وانجاهم من الجيش المصري، واراهم من الآيات كشق الصخور، والطعام، والمائدة في البرية، فتجاهلوا هذه المعجزات فضلا عن معجزاته وافاعيله في شعب مصر، فقد أزعج بنو إسرائيل الله بشّكهم في قدرته، فكان الرب الغضوب يهلك فيهم، واما وصفه بالرؤوف فلا يتماشى في هذا المقام ومع ما ذهب إليه كاتب المزمور من جوانب عدة:

اولها: إننا نعلم بأن رأفة الرب ورحمته تكون مع القلوب التي اطلع الرب عليها، وعلم إيمانها، لذا يتجاوز الله عن المسيء، فيغفر له، ويزيده إيماناً مع ايمانه.

ثانيها: عند التأمل في النصوص السالفة بالذكر نجد أن المعصية جماعية، أي استغرقت عموم الشعب، وأن الشعب نجدهم على مستوى واحد من المعصية، فالمعصية متحققة في مجموعهم، ويُستغرب من الامر هذا كله، لأنهم رأوا معجزات الرب الباهرة بأم اعينهم، فالعقل يسلم ان يعصي نفر من الشعب أو شرذمة منهم لا أغلب الشعب الذي ذكر عددهم موسى (عليه السلام) بـ (ست مئة الف)(٩٩)، نسمة. فأي رحمة يتأملونها من الرب.

ثالثها: لم يحفظوا شرائع الله، ونبذوا عهودهم معه، وكذلك هي متحققة في مجموع الشعب أو اغلبه. بل حاولوا تجربة الله في البرية عندما طلبوا ترتيب المائدة، ولعل هذا من قبيل التهكم بالله تعالى ، كما ذهب ماك في تفسيره: " ولكن السؤال انطوى على قلة إيمان تهكميّة "[١٠٠]. فأي رحمة يطلبونها من الرب.

رابعها: إن الذي يرى قدرة الرب وقوته، فلابد أن يسلم إلى امرين، الأول الايمان المطلق به، والثاني: طلب رضاه، وتعظيم شأنه. كي يتحقق نزول رحمات الرب عند ذاك الإيمان. واما الذي حصل تجاهل هذه القدرة والاستهزاء بها. فأي معرفة هذه توصلهم الى الرب ليكون رؤوفاً ورحيماً بهم.

ثانياً: صورة الرب (النار الآكلة)، كما تصورها نصوص العهد القديم.

وبالرغم من صور الرب الغضوب فنجد أن الوصف يتعدى إلى وصفه في النار الآكلة من شدتها، فقد جاء في سفر التثنية:" احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه منكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور"[١٠١].

ويلحظ هنا التركيز على قضية الاصنام، والتحذير من اتخاذها نداً للرب، والحق اننا وجدنا هذه الوصية في أغلب اسفار العهد القديم، دلّ ذلك على انحرافهم وتأثرهم بعقائد الأمم ومعبوداتهم، لذلك كان تحذير الرب شديداً في صورة النار الآكلة لهم إذا ما فسدوا وصنعوا تماثيل على صورة أي شيء ليغيضوا الرب : " وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، انكم تبيدون سريعاً عن الأرض.."[١٠٢].

وقد وصف المزمور الثامن عشر صور الله : " وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب صعد دخان من أنفه ونارٌ من فمه أكلت. جمرٌ اشتعلت منه طأطأ السموات ونزل وصباب تحت رجليه.. أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته برداً وجمر نار.."[١٠٣]

وصف غريب من كاتب السفر لله الحق جل ثناؤه، فأي تجسيد وتجسيم للرب العلي العظيم، فتارة يصورونه كأنه تنين كما الفوا ذاك في الهة الحضارات القديمة، وتارة أخرى يصورونه كأنه بصورة انسان له (أذن ، وفم، ورجلان..). سبحان الله عما يصفون، وتعالى الله عما يقولون.

وإننا في مقام التحليلات العلمية فان خلاصة القول إن كُتاب الأسفار على الخصوص، واليهود على العموم يؤمنون بالعالم المادي المشاهد امام أعينهم، فقد قاسوا الغائب على الشاهد، الذي يمتنع بحق الله تعالى، لأنه يخالف كل تصور ولا يمكن تصوره لأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع العليم). وإن قدرته واردته دلت على عظمة قوته وخلقه سبحانه (عز وجل).

ثالثاً: تجسيم صورة الرب بالشيخ الكبير:

وكما رأينا تجسيدهم وتجسيمهم للحق جل ثناؤه، فإننا نجد في بعض الأسفار وصفاً للرب بصورة الشيخ الكبير، ولنقرأ هذا في سفر دانيال، فيصور الرب في حلمه:" .. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبَكَراته نارٌ متَّقِدة نهر نار جرى وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه.."[١٠٤]

ولا يمتنع كُتّاب الأسفار عن وصف الحق (جل ثناؤه)، وتجسيده وتجسيمه، ولا يتحرجون من هذا البتة. وكما ذكرنا إن التصوير المادي الذي هو جبلتهم اعطت الصبغة الوصفية لذاتهم النفسي، ليعبروا عن مدار تلك النفسية بأقوال ورؤى لا تنسجم مع الذات الالهية، وكان الأجدر بهم تنزيه الخالق عن كل ما لا يليق به.

ولنقف قليلاً عند الاعتقاد الحلولي وصورة الله فيه لدى اليهود.

رابعاً : صورة الله في الثالوث الحلولي اليهودي:

عند النظر في التراث الصوفي اليهودي المسمى بـ (القبَّالاه)، نجد في هذا النسق طبقة جيولوجية ذات طابع حلولي قوي تراكم داخله ابتداءً من العهد القديم مروراً بالشريعة الشفوية.. وقد تطورت القبَّالاه وتراثها عبر مراحل دينية عديدة.. (١٠٥)

اما الرؤية الحلولية في المنظور اليهودي فإنها تدور حول ثلاثة عناصر: (الاله، والإنسان، والطبيعة)، وفي إطار الحلولية اليهودية يتحول الإنسان إلى الشعب اليهودي، وتتحول الطبيعة إلى أرض الميعاد، أما الإله فيحل فيهما معاً.. وقد نتج عن حلول الإله في الشعب والأرض أن أصبح شعباً مقدساً واصبحت الأرض مقدسة.(١٠٦)

هذا منظور قامع للفكر، فكيف يصفون الله بهذه الطريقة الحلولية وامتزاجه في الشعب والارض، ليكون شعباً ممتازاً عن باقي الشعوب، فأي نظرة هابطة الى القدير المتعال. فالحق ان هذه الفلسفة الحلولية اعطت للفكر اليهودي منهجاً سلوكياً عدوانياً لباقي الشعوب، ونظرتهم الى الانا والادنى هو جراء هذا المنظور العنصري.

وقبل مغادرة المبحث فإننا وجدنا العهد القديم قدم صوراً منوعة عن الرب، وقد وقفنا على بعض منها لإجلاء فكرهم الديني حيال الرب، غير إننا لابد من الاشارة في هذا المقام إلى إن التراث القبَّالي اعطى تصويراً حلولياً الذي اشرنا إليه في مبحثنا هذا، فهو يقرر :

لاهوت شحوب الاله، وهي مرحلة تالية لمرحلة وحدة الوجود الروحية، فبعد الحلول الكامل يتوحد الإله مع المادة (الأرض المقدسة ــ الشعب المقدس)، فيضمرُ ويشحب، ويفقد أهميته، بل يموت داخلها فتصبح المادة مصدر القداسة، وقد ظهر هذا الفكر الديني اليهودي حين وصف أحد زعمائهم جوش ايمونيم الجيش الإسرائيلي بأنه القداسة الكاملة.(١٠٧)

وليست ببعيد رمزية الشمعدان الذي يقدسه اليهود، وبحسب ما جاء في سفر زكريا فان لشعلاته السبع تفسيراً لأعين الرب الجائلة في الأرض كلها.(١٠٨)

هذه النصوص الصقت صور الرب في الفكر الديني اليهودي، بل أثرت به تأثيراً مباشراً في كينونته، أدت إلى انحرافات عقدية في حق الرب من جانب، ومن جانب آخر ادت إلى تطرف الشخصية اليهودية، وانبهارها في الامتياز الالهي، لذا وجدنا: " كل الناشطين الدينيين الميَّالين للعنف ويدعون إلى تطبيق العدالة الإلهية هم متدينون تبنوا من النص المقدس صور إله عنيف، قاس، شديد الانفعال، محب الانتقام، دموي.. وكثير من صور الارهاب في العهد القديم تبنتها الجماعات الدينية.. "(١٠٩).

الخاتمة والنتائج

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن أهم ما يصبو إليه الباحث في دراسته الخلوص إلى نتائج علمية مثمرة تقود بالفكر إلى ترتيب المعلومات على وفق المعطيات المعتمدة، فالتحليلات التي استعملناها في دراستنا تبين لنا أن مسألة الوثنية، لم تغادر نفوس الشعب الإسرائيلي في كل مراحل حياتهم، ولم يستطيعوا التخلص منها بالرغم من عيشهم تحت ظل الأنبياء والرسل، وتقرر لنا هذا بعدما أخذنا نماذج من أسفار العهد القديم الذي هو عمدتهم المقدسة، وسطور تاريخهم العريض.

وقد بيّن البحث بنتائجه، أن اليهودية اقتبست من الموروثات الدينية للحضارات القديمة، فالاقتباس اللغوي كان صريحاً، فلفظة الاله التي عبّر عنها الكنعانيون بـ (إيل)، نجدها مترامية في فقرات أسفار العهد القديم، وكذلك الاله (عشيرة)، الام الكبرى لدى الكنعانيين، فقد ذكرت في أسفار اليهود بلفظة (عشتاروث)، وقد عبروا عنها بلفظة (السارية)، التي اتخذوا لها صور داخل بيت الرب وعبدت. هذا من جهة استعمال اللفظ من قبل أهل الحضارات.

واما من جهة منظورهم الى الاله فقد اقتبس الاسرائيليون من الحضارة العراقية إله تموز، وإله الشمس، وقد وُضعا في هياكلهم وعُبدا، وليس بالإلهة مصر منهم ببعيد، فالإله (ابيس)، الذي صوروه المصريون على هيئة العجل، فقد طلبوه اليهود للعبادة فتخلوا عن كل وعي اخلاقي والتزام ديني مع الله تعالى.

وقد أجلى البحث مسألة تأثر اليهود بفلسفات الشعوب البدائية، والقائلين بالثنوية (الخير، والشر)، فقد آمنت اليهودية بوجود ألهين : إله الخير، وإله الشر ثم يتمازجا بعدما غلب إله الخير على إله الشر ليصبحا وحدة كونية.. ولعل هذا التأثر الفلسفي اخضع فكرهم الديني إلى الانحراف عن مفهوم الرب الواحد الاحد. ومادام مؤشر نتائج بحثنا يحذو إلى المسائل الفلسفية، فإننا خلصنا إلى مسألة تجسد الرب وحلوله التي هي من أعظم النتائج، فالطريقة الحلولية التي وصفوها بحلول الرب في الإنسان والأرض لتكوين شعب مقدس، وأرض مقدسة، لأعظم مقالة فلسفية أساسها تلك الموروثات الحضارية القديمة، وبهذا خرقت فكرة تمايز الاله عقولهم، فصار عندهم يهوه الاله الممتاز عن بقية الارباب، ، فهو ربهم فاديهم ومخلصهم، يرضى بتدمير كل الشعوب لأجلهم، ويرضى بالدموية، فهو إله دموي غاضب.

فكل ما تقدم خلص البحث إلى جذور كينونة الشخصية اليهودية وفكرها الديني المتطرف ونظرتهم الفوقية على الشعوب.

وقضت نتائج البحث على أن صور الرب لدى اليهود مضطربة، ومشوشه بسبب تلك الموروثات، فضلاً عن العوامل النفسية التي كانت تدور في محور شخصية الكُتّاب الملهمين ـــ على حد تعبيرهم ـ عندما كتبوا فقرات أسفار العهد القديم، عبر مراحلهم التاريخية.

وأخيراً: الله أسال ان أكون وفقت في دراستي وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، انه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

Abstract

The image of the Lord in Jewish religious thought A study in cultural legacies and their impact on the headquarters texts

By Hazim Adnan Ahmed

Our study in this research focuses on two main areas: The first: showing the images of the gods in ancient civilizations prepared by the texts of the Old Testament with legacies, which have an impact - upon investigation - in Jewish religious thought, that the living of the Israeli people was under the shadow of those civilizations, such as Egyptian and Babylonian. And other civilizations, and the images of the gods - as a result of that friction - were crystallized in the Jewish thought, and their religious thought and belief with the Lord were entercaled, and they embodied the Lord in images of figures that are similar in names and shapes with the images presented by the owners of civilizations in their temples.

The second: It is the show of the images of the Lord in the books of the Old Testament, and their effect on the Jewish mentality. The books described the Lord with several descriptions, and the research has achieved examples, including: anger and eating fire .

الهوامش

(١) العقيدة الاسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط(١٥)، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٢٠.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق،ط٦، ٢٠١٠م: ٢٠/٢.

(٣) ينظر :العرب واليهود في التاريخ ،د. أحمد سوسة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط٧: ١٢٥.

(٤) ينظر: الديانة السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد، د. محمود حمود، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤: ٥٠.

(٥) الالهة الكنعانية ، خزعل الماجدي، ط١، ١٩٩٩م، دار أزمنة للنشر والتوزيع: ٤٣.

(٦) المصدر نفسه: ٤٣.

(٧) العرب واليهود في التاريخ: ١٢٨.

(٨) الالهة الكنعانية ، خزعل الماجدي: ٤٤.

(٩) سفر التكوين: ١٦: ١٣.

(١٠) تفسير الكتاب المقدس، ماك آرثر، دار منهل الحياة: ٨٣.

(١١) سفر التكوين: ٣٣: ٢٠.

(١٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، مادة: إيل.

(١٣) ينظر: أوغاريت، قصي محمد عبد الرحمن، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م: ٢٢٦.

(١٤) الالهة الكنعانية ، خزعل الماجدي: ٥٣.

(١٥) ينظر: اليهود والعرب في التاريخ، د. أحمد سوسة: ١٢٩.

(١٦) الديانة السورية، د. محمود حمود: ٥٣.

(١٧) الالهة الكنعانية ، خزعل الماجدي: ٥٦.

(١٨) سفر الخروج: ٣٤: ١٣.

(١٩) سفر الخروج: ٣٤: ١١، ١٤- ١٥.

(٢٠) سفر التثنية: ١٦: ٢١ -٢٢.

(٢١) سفر الملوك الثاني: ٢١: ٣-٧.

(٢٢) تفسير الكتاب المقدس: ٦٧٢.
(٢٣) سفر الملوك الأول: ١٨: ١٩.
(٢٤) وتمام النص: " لا تكن زانية من بنات إسرائيل ولا يكم مأبون من بني إسرائيل".
(٢٥) وتمام النص: " وبنوا هم ايضاً لأنفسهم مرتفعات وانصاباً وسواري على كل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء وكان أيضا مأبونون في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب أمام بني إسرائيل"
(٢٦) وتمام النص: " وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية". ويعلق ماك على النص: " السارية هو صنم من خشب وكانت النساء يستخدمن خيم في عبادتهن للسارية حيث كان يعلقن ستائر ويقمن خلفها بأعمال الزنا والفسق. ينظر: تفسير الكتاب المقدس، جون ماك: ٦٧٦.
(٢٧) ينظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب، دار منهل الحياة، ط٢٠١٤،١م:١٣١.
(٢٨) ينظر: ٥٥.
(٢٩) ينظر: الديانة السورية، د. محمود حمود:٧٠ وما بعدها.
(٣٠) ينظر: العهد القديم: د. عيسى دياب: ١٣١.
(٣١) صموئيل الأول: ٧: ٣-٤.
(٣٢) صموئيل الأول: ٧: ١٠
(٣٣) مقارنة الأديان، اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة نهضة مصر، ط١٢/ ١٩٩٧م: ١٨٦.
(٣٤) ينظر: تاريخ العراق القديم، طه باقر وآخرون، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠: ٨.
(٣٥) ينظر: جغرافية المعتقدات والديانات مبادئ وأسس، محتوى ومنهج ـ تحليلات مكانية، أ.د محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ ـ ٢٠١٠: ١٤٨.
(٣٦) ينظر: تاريخ العراق القديم، طه باقر وآخرون: ١١-١٣.
(٣٧) ينظر: جغرافية الاديان، أ.د محسن المظفر:١٥٤-١٥٨.
(٣٨) سفر التكوين: ١: ٢٧-٢٨.
(٣٩) ينظر: العرب واليهود، د. احمد سوسة: ٤٥٦.
(٤٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥٧ وما بعدها.
(٤١) العهد القديم وتحدياته، د. عيسى دياب:١٣٣.
(٤٢) سفر التكوين: ٢٦: ٢٤.
(٤٣) سفر التكوين: ٣١: ٥
(٤٤) سفر الخروج: ٣: ١٥.
(٤٥) حزقيال: ٨: ١٤.
(٤٦) ينظر: تفسير الكتاب المقدس، جون ماك:١٢٦٦.
(٤٧) تاريخ العراق القديم، طه باقر وآخرون: ١٥/٢.
(٤٨) حزقيال: ٨: ١٦- ١٨.
(٤٩) تفسير الكتاب المقدس: ١٢٦٦.
(٥٠) حزقيال: ٨: ٦- ١٢.
(٥١) ينظر: الديانة المصرية، باروسلاف تشرني، ترجمة د. أحمد قدوري، دار الشروق، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م: ٤٥.
(٥٢) الاجتماع الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، د. أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة:١٨٣.
(٥٣) ينظر: الديانة المصرية، ياورسلاف: ٤٧.
(٥٤) ينظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته، د. عيسى دياب: ١٣٥.
(٥٥)العهد القديم وعالمه وتحدياته، د. عيسى دياب :٤٧.
(٥٦) سفر الخروج: ٣٢: ١-٦.
(٥٧) سفر الخروج: ٢٠: ٣-٥.
(٥٨) سورة الأعراف : الآيات (١٣٨ ـ ١٤٠) .
(٥٩)تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة ـ مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.: ٣٦٤/٥ .

(٦٠) سورة البقرة: الآية(٥١).
(٦١) سورة الأعراف : الآية (١٤٨) .
(٦٢) ينظر: تفسير الوسيط، طنطاوي : ٣٦٥/٥ .
(٦٣) سورة طه : الآيات (٨٣ ـ ٨٥) .
(٦٤) سورة طه، الآيتان (٨٧-٨٨).
(٦٥) ينظر: تفسير الوسيط، الطنطاوي : ١٣٧/٩ .
(٦٦) سورة النمل ، الآية (٥٩).
(٦٧) تفسير الكتاب المقدس: جون ماك: ٢٠٢.
(٦٨) المصدر نفسه:٢٠٢.
(٦٩) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة: ١/ ٢٣٨.
(٧٠) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري: ٢/ ٢٢.
(٧١) ينظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته: ١٣٧.
(٧٢) ينظر: سفر نحميا: ٨: ١٣-، و ٩: ٣٧.
(٧٣) سورة الأعراف، الآيتان (١٦٧-١٦٨).
(٧٤) إبراهيم أبو الانبياء، عباس العقاد، دار الهلال، ط١: ٣٦١.
(٧٥) ينظر: مقدمة الكتاب المقدس.
(٧٦) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الافكار، بيروت : ٢٩ ومابعدها.
(٧٧) سفر التثنية: ٣١: ٩.
(٧٨) ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى: ٤٢ وما بعدها.
(٧٩) دراسة الكتاب المقدس، بوكاي: ٢٧.
(٨٠) ينظر: تفسير الكتاب المقدس، جون ماك ارثر: ٥٥.
(٨١) سفر التكوين: ١٥: ١٨.
(٨٢) ينظر: مدخل الى الكتاب المقدس: ٧٤.
(٨٣) سفر التكوين : ١٧: ١ ــ ٨.
(٨٤) ينظر: مدخل الى الكتاب المقدس: ٧٤.
(٨٥) سفر التكوين: ٣٥: ٩ ــ ١٣.
(٨٦) سفر الخروج: ٣٢: ٩-١١.
(٨٧) سفر العدد: ١١-١
(٨٨) سفر العدد: ١١: ٢
(٨٩) سفر العدد: ١١: ٤ -١٠
(٩٠) ينظر القصة كاملة من الفقرة (١٦) الى نهاية الفقرة (٣٥) من سفر العدد.
(٩١) سفر العدد: ١١: ٣٣-٣٤.
(٩٢) مزمور ٧٩: ١- ٥.
(٩٣) ينظر: تفسير الكتاب المقدس: جون ماك: ٩٣٥.
(٩٤) سفر يشوع: ٦: ٢٠ ــ ٢١.
(٩٥) مزمور ٧٩: ٨.
(٩٦) مزمور ٧٨: ٩- ١٧
(٩٧) مزمور ٧٨: ١٨ - ٢٢
(٩٨) مزمور ٧٨: ٥١ ــ ٥٩.
(٩٩) ينظر: سفر العدد: ١١: ١١ - ٢١
(١٠٠) تفسير الكتاب المقدس: ٩٣٤.
(١٠١) سفر التثنية: ٤: ٢٣
(١٠٢) سفر التثنية: ٤: ٢٥ ــ ٢٦.
(١٠٣) مزمور ١٨: ٦- ١٣.

(١٠٤) سفر دانيال: ٧: ٩.
(١٠٥) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري: ٢/ ٣٩.
(١٠٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٣.
(١٠٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٠.
(١٠٨) ينظر: سفر زكريا: ٤: ١٠.
(١٠٩) العهد القديم، وعالمه وتحدياته، د. عيسى دياب: ٢٤٤.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
+ الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، جمعية الكتاب المقدس ـ لبنان.
١. الاجتماع الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، د. أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة.
٢. الالهة الكنعانية ، خزعل الماجدي، ط١، ١٩٩٩م، دار أزمنة للنشر والتوزيع.
٣. أوغاريت، قصي محمد عبد الرحمن، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م.
٤. تاريخ العراق القديم، طه باقر وآخرون، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠.
٥. تفسير الكتاب المقدس، ماك آرثر، دار منهل الحياة.
٦. تفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار النهضة ـ مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٧. جغرافية المعتقدات والديانات مبادئ وأسس، محتوى ومنهج ـ تحليلات مكانية، أ.د محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ ـ ٢٠١٠م.
٨. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الافكار، بيروت.
٩. الديانة السورية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد، د. محمود حمود، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤.
١٠. الديانة المصرية، باروسلاف تشرني، ترجمة د. أحمد قدوري، دار الشروق، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
١١. العرب واليهود في التاريخ ،د. أحمد سوسة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط٧.
١٢. العقيدة الاسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط(١٥)، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
١٣. العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس د. عيسى دياب، دار منهل الحياة، ط ٢٠١٤.
١٤. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين.د. ت.
١٥. المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.
١٦. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٧. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق،ط٦، ٢٠١٠م.
١٨. مقارنة الأديان، اليهودية، د. أحمد شلبي، مكتبة نهضة مصر، ط١٢/ ١٩٩٧م.